

## السؤال الثالث يقول صاحبه: هل حج بيت الله الحرام يكفر جميع الذنوب وإن تعلق بحقوق العباد كالديون مثلاً؟

جواب الدكتور محمد الخرشافي (في 3 مارس 2010).

صحيح أنه ورد في الشريعة نصوص كثيرة ترغب في الطاعات وتعد بمغفرة الذنوب، ومن هذه النصوص ما هو مقيد بذنوب معينة، ومنها ما هو عام غير مقيد، وهذا تفصيل لبعض ذلك :

المجموعة الأولى : النصوص التي تعد بالمغفرة المقيدة باجتناب الكبائر :

قال عز وجل : **"إِنَّ تَجَنُّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (31)"** [النساء:31]

وقال سبحانه : **"الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ"** [النجم:32].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **" الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ "**<sup>1</sup>

المجموعة الثانية : النصوص التي تعد بالمغفرة بصفة عامة :

قال تعالى : **"إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)"** [النساء:48].

ففي هذه الآية أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأمر ثلاثة :

**الأمر الأول:** عظم ذنب الشرك بالله، وأن الله لا يغفر هذا الذنب. (وهذا بدون شك لمن مات على ذلك دون توبة منه).

**الأمر الثاني :** أن ما دون الشرك من الذنوب هو في المشيئة ؛ فإن شاء سبحانه غفره، وإن شاء واخذ به، ولا شك أن مظالم العباد دون الشرك؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل الذنوب في هذه الآية قسمين : الشرك وهو في كفة، وسائر الذنوب الأخرى بجميع أصنافها ودرجاتها في الكفة الثانية، وأعطى حكم القسمين معا.

**الأمر الثالث :** التأكيد على عظم جرم الشرك بالله بوصفه بوصفين : صفة الافتراء على الله، وصفة عظم الإثم، ولا يخفى على كل ذي لب أن الآية ما ختمت بذلك إلا لفوائد : منها أنه آخر ما يقرع السمع في التلاوة لهذه الآية عظم هذا الذنب.

وقال تعالى : **"وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ"** (114) [هود:114].

وقال سبحانه : **"إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)"** [الفرقان:70].

وقال تعالى : **"قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (38)"** [الأنفال : 38]

وقال تعالى : **"قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)"** [الزمر:53]

1 - وهو مخرَج في صحيح مسلم (209/1) 14-(233).

وقال عز وجل : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ  
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " [التحریم:8].

وفي السنة النبوية أحاديث نبوية كثيرة منها :

- عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( اتق الله حيثما  
كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن).<sup>2</sup>

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من حج فلم  
يرفث، ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) " رواه البخارى ومسلم.

روى الإمام أحمد وأهل السنن، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : كنت  
إذا سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعتني الله بما شاء أن ينفعتني  
منه، وإذا حدثني عنه أحد استحلقتني، فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر -وصدق  
أبو بكر -أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من مسلم يذنب ذنباً،  
فيتوضأ ويصلي ركعتين، إلا غفر له " <sup>3</sup>.

وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : أنه توضأ لهم  
كوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله يتوضأ،  
وقال: " من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غُفِرَ له  
ما تقدم من ذنبه " <sup>4</sup>.

وروى الإمام عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند الإمام أحمد : (قَالَ عَبْدُ اللَّهِ، بُنُ  
أَحْمَدَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَجَّاجِ النَّاجِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ السَّرِيِّ، عَنِ ابْنِ  
لِكْنَانَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَاهُ الْعَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " دَعَا عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، لِأُمَّتِهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ فَأَكْثَرَ الدُّعَاءَ،  
فَأَجَابَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْ قَدْ فَعَلْتِ، وَغَفَرْتُ لِأُمَّتِكَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَقَالَ: يَا  
رَبِّ إِنَّكَ قَادِرٌ أَنْ تَغْفِرَ لِلظَّالِمِ، وَتُنْثِبَ الْمَظْلُومَ خَيْرًا مِنْ مَظْلَمَتِهِ "، فَلَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ  
العَشِيَّةِ، إِلَّا ذَا. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا عِدَّةَ الْمُرْدَلِقَةِ، فَعَادَ يَدْعُو لِأُمَّتِهِ، فَلَمْ يَلْبَثِ النَّبِيُّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَبَسَّمَ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي،  
ضَحَكْتَ فِي سَاعَةٍ لَمْ تَكُنْ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا أَضْحَكُكَ، أَضْحَكَكَ اللَّهُ سَبَّكَ قَالَ: " تَبَسَّمْتُ  
مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، حِينَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اسْتَجَابَ لِي فِي أُمَّتِي، وَغَفَرَ لِلظَّالِمِ،  
أَهْوَى يَدْعُو بِالنُّبُورِ وَالْوَيْلِ، وَيَحْنُو الثَّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ، فَتَبَسَّمْتُ مِمَّا يَصْنَعُ جَزَعُهُ " <sup>5</sup>.

وهذا الحديث تكلم فيه الحفاظ فمنهم من عده موضوعا كما فعل ابن الجوزي في  
الموضوعات، ومنهم من دافع عنه، والحديث يدور على (ابن كنانة) وهو مجهول  
لأنه مبهم، لكن جاء في روايتي ابن ماجة وابن عدي مسمى ب(عبد الله بن كنانة).  
وقد تكلم الحافظ ابن حجر رحمه الله على هذا الحديث في "القول المسدد في الدب عن  
المسند".

2 - الحديث رواه الترمذي وأبو داود وأحمد والحاكم عن أبي ذر، وهو حديث حسن.

3 - المسند (2/1) وسنن أبي داود برقم (1521) وسنن الترمذي برقم (406) والنسائي في السنن الكبرى برقم (10247) وسنن ابن  
ماجه برقم (1395) وقال الترمذي: "حديث علي حديث حسن، لا نعرفه إلا من هذا الوجه".

4 - فتح الباري مع متن البخاري كاملا ابن حجر ميم - (1 / 259) الحديث: 159. ومسلم برقم (245).

5 - مسند أحمد ح: 16207.

فكان مما قال في عبد الله هذا : (ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً)<sup>6</sup>، ثم قوى روايته هذه بقوله : (وقد تابعه عبد الرحيم بن هانئ الغساني؛ فرواه عن عبد العزيز نحوه، وهو عند الحسن بن سفيان في مسنده)<sup>7</sup>، ثم ختم الحافظ ابن حجر بقوله في الحكم على هذا الحديث : (والحديث على هذا قوي لأن عبد الله بن كنانة لم يتهم بالكذب، وقد روى حديثه من وجه آخر، وليس ما رواه شاذاً فهو على شرط الحسن عند الترمذي وقد أخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين)<sup>8</sup>.

ثم قال الحافظ ابن حجر : (ثم وجدت له طريقاً أخرى من مخرج آخر بلفظ آخر وفيه المعنى المقصود وهو عموم المغفرة لمن شهد الموقف أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ومن طريقه أخرجه الطبراني في معجمه عن إسحاق بن إبراهيم الدبري عنه عن معمر عن سمع قتادة يقول : حدثنا خلاس بن عمرو عن عبادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : **أيها الناس إن الله عز وجل قد تطول عليكم في هذا اليوم فغفر لكم إلا التبعات فيما بينكم ووهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل فادفعوا باسم الله، فلما كان يجمع قال : إن الله قد غفر لصالحكم وشفع صالحكم في طالحيكم ينزل المغفرة فيعممها؛ لا ثم يفرق المغفرة في الأرض فتقع على كل كاتب ممن حفظ لسانه ويده وإبليس وجنوده على جبل عرفات ينظرون ما يصنع الله بهم، فإذا نزلت المغفرة دعا هو وجنوده بالويل يقول : كيف استغفر بهم حقبا من الدهر، ثم جاءت المغفرة فعمتهم).**

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **"كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً ثم خرج يسأل فأتى راهباً فسأله؛ فقال له هل من توبة؟ قال : لا. فقتله، فجعل يسأل فقال له رجل أنت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء بصدرة نحوها؛ فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال : قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له"**<sup>9</sup>.

وفي رواية الإمام مسلم لنفس الحديث أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً؛ فسأل عن أهل الأرض؟ فدلَّ على راهب؛ فأتاه؛ فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال : لا، فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أهل الأرض؟ فدلَّ على رجل عالم. فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناساً يعبدون الله؛ فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب؛ فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط.

6 - القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد لابن حجر العسقلاني : (ص:37).

7 - القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد ابن حجر (1 / 37)

8 - القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد ابن حجر (1 / 37)

9 - فتح الباري مع متن البخاري كاملاً ابن حجر ميم - (6 / 512) ح: 3470.

فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم. فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى، فهو له، ففاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة).<sup>10</sup>

- وروى مسلم في صحيحه : عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة).<sup>11</sup>

وروى الضياء المقدسي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال الله تعالى : "عبيد إنك ما دعوتني ورجوتني فإني سأغفر لك على ما كان منك، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا، لقيتك بقرابها مغفرة، ولو أخطأت حتى تبلغ خطاياك أعنان السماء؛ ثم استغفرتني لغفرت لك ولا أبالي"<sup>12</sup>

وروى مسلم في صحيحه عن ابن شماسة المهري قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلا وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول : يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ قال فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل ما نُعِدُّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ إني قد كنت على أطباق ثلاث : لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ابسط يمينك فلأبأبعك. فبسط يمينه قال: فقبضت يدي. قال : مالك يا عمرو؟ قلت : أردت أن أشرط. قال : تشترط بماذا؟ قلت : أن يُغفر لي. قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟<sup>13</sup>

وأمام هاتين المجموعتين من النصوص ذهب طائفة من أهل العلم إلى ترجيح وجوب تقييد المغفرة لما كان بين الإنسان وربه، أما ما كان بينه وبين غيره من بني آدم؛ فهذا يتوقف على رد المظالم إلى أهلها، والتحلل منها، أو بعفو صاحبها. وذهبت طائفة أخرى من أهل العلم إلى ترجيح النصوص العامة في المغفرة والتي تشمل المظالم والتبعات أيضا...

ومن الذين انتصروا للقسم الأول : (المغفرة المقيدة)

مذهب الجمهور من أهل العلم أن الحج يكفر الصغائر فقط، أما الكبائر فيجب التوبة منها.

وَسئِلَ ابن حجر الهيتمي عن مُطلقِ الحَجِّ المَبْرُورِ هل يُكْفِرُ الكَبَائِرَ كَالِإِسْلَامِ؟ : (فَأَجَابَ الحَجَّ المَبْرُورُ يُكْفِرُ ما عَدَا تَبَعَاتِ الأَدَمِيِّينَ كما حَكَى بَعْضُهُمُ الإِجْمَاعَ على هذا الإِسْتِنَاءِ).<sup>14</sup>

10 - صحيح مسلم 5/1 م م ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - (4 / 2118) 46 - (2766).

11 - (صحيح مسلم 5/1 م م ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - (4 / 2068) 22 - (2687)

12 - الأحاديث المختارة للضياء المقدسي م م - (399/4) ح: 1571. وقال الضياء : (إسناده صحيح).

13 - صحيح مسلم 5/1 م م ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - (1 / 112) 192 - (121).

14 - الفتاوى الفقهية الكبرى - (99 / 2).

قال الحافظ شمس الدين المقدسي<sup>15</sup>: "ولا يسقط حق آدمي من دم أو مال أو عرض بالحج"<sup>16</sup>

قال ابن عقيل: (وَلَا يَسْقُطُ حَقُّ آدَمِيٍّ مِنْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ أَوْ دَمٍ بِالْحَجِّ إِجْمَاعًا إِنَّهُ).<sup>17</sup>

وَقَالَ الدَّمِيرِيُّ<sup>18</sup> فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرُفْتْ وَلَمْ يَفْسُقْ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" وَهُوَ مَخْصُوصٌ بِالْمَعَاصِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً دُونَ الْعِبَادِ...).

وهؤلاء قالوا: والأدهى والأمر أن يتجرأ طائفة من الناس بارتكاب المعاصي وأخذ حقوق العباد، وارتكاب المظالم؛ فإذا قيل له تب إلى الله واترك ما أنت فيه من المعاصي، ورد الحقوق لأصحابها. قال: إني سأحج لأكفر سائر الذنوب، فهو لا يتورع عن ظلم الناس وأخذ حقوقهم معتقدا أنه بحجه يكفر الله عنه سائر هذه الذنوب.

ومن الذين انتصروا للقول الثاني: (شمول المغفرة، بل حتى التبعات)

الحافظ ابن حجر: فقد قال في الفتح عند شرح: (قوله صلى الله عليه وسلم: (رجع كيوم ولدته أمه) أي بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات، وهو من أقوى الشواهد لحديث العباس بن مرداس المصرح بذلك، وله شاهد من حديث ابن عمر في تفسير الطبري).<sup>19</sup> اهـ

ومذهب الرملي<sup>20</sup> في فتاواه أنه يكفر الصغائر والكبائر بل التبعات أيضا.

أقول: والقول المختار في هذه المسألة أن الحج المبرور يكفر الله به جميع الذنوب التي بينك وبين الله عز وجل - مع التوبة من الكبائر - أما حقوق الأدميين فهذه ينبغي التحلل منها برد المظالم إلى أصحابها.

- روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه".<sup>21</sup>

ورواه الإمام مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في

15 - الحافظ محمد بن مفلح أبو عبد الله شمس الدين المقدسي (المتوفى: 763هـ)

16 - الفروع و تصحيح الفروع محمد بن مفلح الحنبلي ممم - (10 / 233).

17 - نقلا عن: مطالب أولي النهى مصطفى بن سعد السيوطي الرحباني - (6 / 389).

18 - محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء الشافعي. أصله من أهل دميرة بمصر، وولد ونشأ بالقاهرة. له: حياة الحيوان، والديباجة شرح ابن ماجه، وأرجوزة في الفقه. توفي سنة 808هـ.

- ترجمته في: مفتاح السعادة 186/1، وكشف الظنون 696، والأعلام 340/7،

19 فتح الباري مع متن البخاري كاملا ابن حجر ممم - (3 / 383).

20 - صاحب هذه الفتاوى هو شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة، الرملي (ت 1004 هـ). فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى، وكان يقال له: الشافعي الصغير. له كتب منها: الفتاوى، وصنف شروحا وحواشي كثيرة في الفقه الشافعي.

- انظر: الأعلام للزركلي.

21 - فتح الباري مع متن البخاري كاملا ابن حجر ممم - (5 / 101). ح: 2449.

ولا خلاف عند العلماء أن الشهادة في سبيل الله من الأعمال العظيمة التي قد ورد في فضلها آيات وأحاديث كثيرة تبين مكانة الشهيد عند الله في الدنيا والآخرة، والشهيد يغفر له سائر الذنوب إلا ذنب الدِّين، لأن الديون من حقوق العباد؛ روى مسلم في "صحيحه" من حديث **عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يغفر للشهيد كل ذنب، إلا الدِّين".**<sup>23</sup>

ثم إن مرتبة الصحبة مرتبة عظيمة، وقد مدح الله الصحابة في القرآن الكريم ومدحهم وأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة؛ فقد ذكروا باسم الأنصار والمهاجرين في نصوص مستفيضة، ولم يقع خلاف بين العلماء في علو هذه الرتبة بين المسلمين سواء عند المتقدمين أو المتأخرين، ومع ذلك فإن من مات من الصحابة وعليه دين لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عليه، ولا شك أن الدين من حقوق العباد؛ شأنه شأن التبعات؛ فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أتى بجنائز ليصلي عليها؛ فقال: (هل عليه من دين؟) . قالوا: لا. فصلى عليه. ثم أتى بجنائز أخرى فقال: (هل عليه من دين؟) . قالوا نعم قال (صلوا على صاحبكم). قال أبو قتادة علي دينه يا رسول الله فصلى عليه.<sup>24</sup>

وفي الصحيح كذلك أنه صلى الله عليه وسلم (كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَكِّيِّ عَلَيْهِ الدِّينُ فَيَسْأَلُ هَلْ تَرَكَ لِدِينِهِ فَضْلاً فَإِنْ حَدَّثَ أَنَّهُ تَرَكَ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ. فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ قَالَ أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ فَمَنْ نُؤْفِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دِينًا فَعَلِيَ قَضَاؤُهُ وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ").<sup>25</sup>

فدل هذان الحديثان أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي على من عليه دين لأن الدين من حقوق العباد؛ فإذا تحمل أحد الصحابة عن هذا الصحابي الميت دَيْنَهُ، أو كان له صلى الله عليه وسلم ما يقضي به عنه هذا الدين صلى الله عليه؛ وإلا امتنع عن الصلاة عليه.

فحقوق العباد مبنية على المشاحة، في حين أن حقوق الله مبنية على العفو والمسامحة؛ فالله سبحانه وتعالى شديد العقاب، ولكنه غفور ورحمن ورحيم؛ فمن تعلق من العباد به طلباً للمغفرة والرحمة وهو صادق في تعلقه هذا - مع الإيمان وعدم الإشراك به - فالله لا يرد رجاء من ارتجاه.

**ومحل التفرقة بين الحقوق المتعلقة بالله والحقوق المتعلقة بالعباد ما إذا لم تتدخل الإرادة الإلهية، فإذا أراد الله أمراً فلا مرد له، فهو سبحانه قادر على أن يغفر لمن لأخيه عليه حق ويثيب المظلوم؛ كل ذلك ما لم يكن الذنب شركاً بالله، فهذا الذي ذكر الله أنه لا يغفره أبداً، قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (48)" [النساء:48]،**

22 - صحيح مسلم 5/1 م م ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - (1997 / 4).

23 - صحيح مسلم 5/1 م م ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - (1502 / 3). (1886).

24 - صحيح البخاري بترقيم البيهقي (2 / 803) ح: 2173.

25 - فتح الباري مع متن البخاري كاملاً ابن حجر ميم - (515 / 9).

وقال سبحانه : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) " [النساء:116].

وهذا هو خلاصة هذا الباب : لأن الله سبحانه وتعالى : غفور، ودود، غفار، رحمان، رحيم، بر، كريم.

وينبغي أن يكون العباد على حالة من الوجل والخوف من عقاب الله، كما ينبغي أن يكونوا على طمع في مغفرة الله وكرمه وعفوه؛ فأهل السنة و الجماعة بين الخوف والرجاء؛ قال تعالى : " وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَذْعَبُونَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) " [الأنبياء: 89،90].

فقد أثنى الله على زكرياء واستجاب له ولزوجه الدعاء؛ فذكر مما مدحهم به المسارعة في الخيرات - وهي الطاعات - والعبادة المشفوعة بالرغبة والرغبة.

وهذا هو المنهج الإسلامي الحق؛ فمن فتح باب الرجاء ووسعها وأغلق باب الخوف من عقاب الله عز وجل طغى وتجبر وارتكب الموبقات اغترارا منه برويته القاصرة. ومن توسع في باب الخوف والرغبة دون النظر إلى رحمة الله بعباده أورثه ذلك القنوط من رحمة الله.

ولاشك أن من أعظم الذنوب بعد الشرك القنوط من رحمة الله؛ والله سبحانه وتعالى يقول : " نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50) وَنَبَّيْنَاهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (51) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (52) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (54) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (55) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56) " [الحجر:49-56]

فمن تعمد فعل المعاصي وارتكاب المظالم اعتقادا منه أنه بحجه سيكفر جميع هذه الذنوب فهو مغرور، فحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة).<sup>26</sup> ولا شك أن معنى المبرور المتقبل من الله، وهذا الأمر لا يستطيع العبد معرفته، فالمسلم مطلوب منه العمل ومن الله عز وجل القبول.

فإنه سبحانه وتعالى قال : " وَبِعَفْوِ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ " فالله علق ذلك على المشيئة ومن أدراك أيها العاصي المتجرب على المحارم أنك مشمول بالمغفرة ضمن الذين شاء الله سبحانه أن يغفر لهم!؟  
والله أعلم.

26 - رواه أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والحاكم مختصرا وقال صحيح الإسناد.